

## المحاضرة الثالثة: الحزب الشيوعي الجزائري 1935 وحزب الشعب الجزائري 1937

### أ. الحزب الشيوعي الجزائري 1935:

ظهر الحزب الشيوعي فرع الجزائر عموما اثر الحرب العالمية الأولى مباشرة، وكان قد ربط دعوته في بداية أمره بشخص الأمير خالد، وتعود جذوره الأولى إلى نشأة الاتحاد الثقافي للعمال الجزائريين الذي تكون سنة 1902 بفرنسا، وأصبح أعضاء هذا الاتحاد من أبرز العاملين في الحزب الشيوعي الفرنسي بالجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، ويبدو أن هذا الاتحاد قد تأثر خاصة بالآراء الماركسية لأن "لينين" لم يهتم بمسألة الجزائر إلا عرضا مثل اهتمام "ماركس" و"انجلز" بها من قبله، ولم يتكلم عنها إلا أثناء تناوله الكلام عن أحوال المستعمرات الفرنسية. وسواء تبنى الحزب الشيوعي الجزائري الآراء الماركسية أو الأفكار اللينينية، فإنه كان بعد الحرب العالمية الأولى مكونا من ثلاث اتحادات سميت (اتحاد الحزب الاشتراكي الجزائري)، تبنت كلها الشرط عشر والثامن عشر الأممية الشيوعية الثالثة التي كانوا أعضاء فيها خلال انعقاد مؤتمر مدينة (تور) في ديسمبر 1922، وكان هذا الشرطان يلزمان العضو بمساندة كل حركة مناهضة في المستعمرات والمناداة بطرد الإمبريالية من هذه المستعمرات. كما أنها كانت ترى أنها ترى أن حرية البروليتاري الأهل في شمال افريقيا لا يمكن أن تكون ثمرة ثورة ضد السلطة الحاكمة، وأن أحسن وسيلة لإعانة حركات التحرر في مستعمرة شمال افريقيا ليس معناه التخلي عن المستعمرة بل بالعكس يجب البقاء والعمل من أجل أن يرسخ الحزب الشيوعي كما يجب مضاعفة دعاية المشاركة في المنظمات النقابية والشيوعية والتعاونية.<sup>(1)</sup>

بقيت هذه الاتحادات منقسمة إلى غاية مستهل سنة 1925 حيث قرر الحزب الشيوعي تزعمها وكون منها ما يسمى الحزب الشيوعي فرع الجزائر الذي عقد أول مؤتمر تأسيسي له في شهر مارس 1925. ومنذ سنة 1926 صار اتحاد الحزب الشيوعي بالجزائر أكثر تنظيما وذلك بفضل عضوية بعض العناصر الجديدة فرنسية وجزائرية ونادى بالعمل من أجل استقلال الجزائر الكامل وإلغاء النيابة المالية وإنشاء برلمان جزائري مكانها، ومحاربة الامبريالية الفرنسية واقامة الصراع الطبقي ضد البرجوازية الرأسمالية هذا من جهة.

ومن جهة أخرى استغل الشيوعيون شعور الشعب الجزائري وعاطفته نحو شخص الأمير "خالد" بعد نفيه، وتبنوا دعوته، وذلك بهدف كسب ثقة الشعب ووده من ناحية وتجنب الوقوع في العزلة الخائفة التي فرضت على الليبراليين سنة 1919 من ناحية ثانية، وكون الأمير "خالد" يختلف عنهم في برنامج عمله ورؤيته للأحداث، وفي موقفه من الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وفي اتجاه الحضاري. فإن الشيوعيين ربطوا حزبهم بدعوته للأسباب السابقة. فمفهوم استقلال الجزائر الكامل عندهم ليس مثل ما هو عند الأمير "خالد"، فالاستقلال في نظرهم هو استقلال العامل الجزائري في الإطار الشيوعي العالمي، أن أنه يجب أن يكون (العامل الجزائري) مرتبطا بمنظمات نقابية تدافع عنه وتسهر على تطبيق القوانين

المعتمدة في البلاد عليه. وحول مطلبهم من إنشاء برلمان جزائري ليس معناه بالضرورة تكوين حكومة جزائرية مستقلة وإنما هو انتخاب مجلس شعبي تكون العضوية فيه للفرنسيين والجزائريين ذوي الآراء الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية، والغرض من انشاء هذا المجلس هو القضاء على مجالس النيابات المالية التي تعتبر في نظرهم برجوازية.<sup>(2)</sup>

كانت توصية "النينين" للشيوعيين تقول بأنه، لا يمكن للشيوعية أن تقوم في الجزائر إلا بالاعتماد على حزب وطني، وهو ما يجب البحث عنه، وعلى هذا الأساس صرح الشيوعيون الجزائريون سنة 1922: ((إن الوطنية لم توجد بعد في أوساط الأهالي الجزائريين.. وإن الشيوعية لا يمكن أن تقوم في الجزائر إلا على جثة الوطنية)). وهو ما يؤكد ربط حزبهم بدعوة الأمير "خالد" غير أن هذا الارتباط سرعان ما بدأ يتلاشى بعد سنة 1925 إلا أنها ذابت نهائيا مع مرور الزمن.

مهما يكن الأمر؛ فإن الصحف الفرنسية هاجمت الآراء الشيوعية ووقفت ضد انتشارها في الجزائر ونسبت مسؤولية هذا الانتشار إلى كل من الرئيس "ويلسون" وإلى البولشوفييين. ومن أهم المجالات التي تصدت إلى انتشار الشيوعية وشتيعها في الجزائر، من هذه المجالات (دورية اللجنة الافريقية الفرنسية) التي اهتمت بهذا الموضوع منذ بدايته سنة 1920، وخصصت له مقالات في أعدادها سنة 1922 تحت عنوان ((الخطر الشيوعي)). وفي المقابل نشرت جريدة (الكفاح الاجتماعي La Lutte Sociale) لسان حال الاتحاد الشيوعي الجزائري سنة 1925 نداء عاما للجزائريين جاء فيه على الخصوص ما يلي: ((ليس أمامكم إلا باب سلام واحد، هو انخراطكم في الحزب الشيوعي. ادخلوا إذن تحت الشعار الأحمر الذي يؤدي إلى تحرير كل الشعوب المضطهدة والطبقات المهضومة حقوقها)). إلا أن الحقيقة أن فرع الحزب الشيوعي الفرنسي في الجزائر كان يرى أن استقلال الجزائر مرهون بتحرير فرنسا من ايدي البرجوازية، وهذا بناء على ما جاء في بيان الكومنترن (Komintern) النهائي سنة 1919 الذي يقول: ((أن تحرير الجزائر سيبقى متوقفا على تحرير فرنسا)).<sup>(3)</sup>

على أية حال؛ فإنه في شهر نوفمبر 1931 أثناء انعقاد المؤتمر السادس للكنفيدرالية العامة للعمل الاتحادي أعلن عن مشروع إحداث (مركزية جزائرية للنقابات الثورية)، وفي العام الموالي بعد انعقاد المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الفرنسي صدرت تعليمة في باريس تحث فيها الشيوعيين الجزائريين عن أن يصبحوا فرعا مستقلا في الأممية الشيوعية، ووعدت حينها أيضا الاتحادية الجزائرية بالعمل على

---

(2) نفسه، ص ص: 22 - 23.

(3) نفسه، ص ص: 23 - 24.

تعريب صفوفها وجعل مكانة اللغة العربية في جريدة (الكفاح الاجتماعي) التي خصصت نصف صفحة للغة العربية إلا أن الجريدة توقفت سنة عن الصدور 1933.<sup>(4)</sup>

لم يكن بمقدور الحزب الشيوعي الفرنسي فعل شيء خلال المرحلة التي سبقت الاحتفالات المئوية وبعدها وكان به أصابه الضمور والعجز حتى سنة 1934، وهي السنة التي بدأ فيها ينتعش وينشط على الساحة من جديد على "أندريه فيرات" (André Ferrat) رئيس الفرع الكولونيالي للحزب الشيوعي الفرنسي الذي أرسل إلى الجزائر كمرشد ومدرّب في فبراير 1934، حيث تمكن لما له من مؤهلات إدارية واستعدادات تنظيمية أن يُفعل من جديد العمل الحزبي بتعين إطارات جزائرية ضمنه لتعريب الحزب مثل "عمر أوزقان" و"علي بوقرط"، وإعادة جريدة الكفاح الاجتماعي إلى الظهور من جديد في 28 أبريل 1934، والعودة إلى مهاجمة الاشتراكيين ومن كان يسميهم بالوطنيين الاصلاحيين، فهم يشكلون في نظره عائقا لمحاربة الإمبريالية لما لهم من نفوذ في الوسط الجماهيري.

تزامن مع هذا الانتعاش الذي يعرفه الحزب تحول في مواقفه، حيث بدأ من جوان 1934 برفعه لشعار (الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين ومع الشعوب المضطهدة)، وتغيير لهجته مع أعداء الأمس بتوقيع تحالف عمل مع الاشتراكيين في أكتوبر من نفس السنة، وما إن ظهرت كلمة (الواجهة الشعبية) في 16 نوفمبر 1934 حتى تحقق التجمع الشعبي مع الراديكاليين في جويلية 1935، فأخذ الأوروبيين يلتحقون بالحزب الشيوعي ويعودون إلى الاقبال عليه مجدد بحيث ارتفع عدد المنخرطين من 150 إلى 600 في جويلية 1935 ليصل في 3500 في السنة الموالية.<sup>(5)</sup>

كان هدف الزعماء الشيوعيين الأوروبيين، هو جمع شتات الطبقة العاملة وتوحيدها، ودمج العناصر الأوروبية والعربية إدماجا كليا بغرض حد للتنافس التقليدي بين الكتلتين، وتوحيد جميع القوي الثورية ضد الإمبريالية. في سنة 1935 قرر مؤتمر فيلاريان (Villeurbanne) تحويل الفرع الشيوعي الجزائري إلى حزب مستقل عن الحزب الفرنسي، وأصبح يسمى الحزب الشيوعي الجزائري، كان ذلك في عهد تولى "جان شانترون" (Jean Chaintton) المدعو "بارتال" مهمة إعادة تنظيم الحزب في الجزائر، حيث أعطاه طابعا أهليا فوضع مناصب الثقة مناضلين مسلمين مثل المشار إليهم آنفا "عمار أوزقان" و"بن علي بوقرط". وتكونت خلايا متعددة في الجزائر بعضها جزائريا خالصا، وبعضها من أوروبيين وجزائريين، وتضاعف عدد المنخرطين في خلايا الحزب إلى أربع مرات، وأصبحت نشاطات الحزب

(4) أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص: 622.

(5) عبد الحميد زوزو، الفكر، مرجع سابق، ص: 545 - 546. وأيضا: أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871، مرجع سابق، ص: 623 - 624.

واسعة النطاق لا في الميدان السياسي فحسب، بل في الميدان النقابي أيضا، وتظهر قوة تأثيره في صفوف الطبقة الكادحة خاصة في إضراب العمال الزراعيين في عنابة وسكيكدة سنة 1937.<sup>(6)</sup>

في حقيقة أمر الحزب الشيوعي الجزائري، وهنا عبارة (جزائري) لا تعني أن غالبية أعضاء كلهم كانوا من الجزائريين (المسلمين) لأن قيادته وغالبية أعضائه كانت من الأوروبيين، ورغم انفصاله في الظاهر عن الحزب الشيوعي الفرنسي، إلا أنه بقي امتداد حقيقيا له ينسق معه ويأتمر بأمره، ومن أبرز المواقف الموحدة بينهما كون الجزائر جزءا لا يتجزأ من الدولة الفرنسية والوطن الفرنسي. ولكن الحزب الشيوعي الجزائري ركز على عبارات معينة كالحرية والحقوق وتحرير الشعوب ومحاربة الرأسمالية واستتكار الاستعمار والاستغلال، وهذا ما قرب الحزب من منظمات أخرى جزائرية سيما عند إعلان مشروع فيوليت القاضي بمنح عدد من النخبة الاندماجية الجزائرية حق المواطنة الفرنسية مع محافظتها على الأحوال الشخصية الإسلامية.<sup>(7)</sup>

كانت أيديولوجية الحزب الشيوعي الجزائري في هذه الفترة تنتكر لوجود أمة جزائرية عبر التاريخ، وهي في حقيقة الأمر أمة في طور التكوين يمثلها خليط من الأعراق والأجناس، وهو الرأي الذي عبر عنه الأمين العام للحزب الفرنسي "موريس توريز" (Maurice Thorez) في مهرجان أقيم بالجزائر يوم 11 فيفري 1939 عندما صرح عن الأمة الجزائرية الآخذة في التكوين فقال: ((نحن الشيوعيين، لا نفر بوجود العروق العنصرية، نحن لا نريد أن نعترف بغير الشعوب ... فأين يكون في بلادنا، «العرق المختار»، الذي يستطيع أن يطمح إلى السيطرة بمفرده، العرق الذي يستطيع أن يقول: هذه الأرض كانت أرض أسلافي وأجدادي وحدهم، وعليها أن تكون أرضي أنا وحدي؟ ... أليس ثمة بينكم هنا، الأبناء المنحدرين من تلك العشائر النوميديّة القديمة، التي كانت قد بلغت، في تلك الأيام، مرتبة معينة من التمدن، حتى أنها استطاعت أن تجعل من أرضيها أهواء لروما القديمة، أليس بينكم أحفاد أولئك البربر الذين أعطوا للكنيسة الكاثوليكية القديس أغسطين مطران هيبيونة، كما أعطوا في الوقت نفسه الخارجي دونات؛ أليس بينكم الآن أحفاد أولئك القرطاجيين، والرومان، وجميع أولئك الذين ساهموا، طوال قرون وقرون في ازدهار حضارة ما تزال تشهد لها حتى آثارا كثيرة ... وكذلك فبينكم الآن أبناء أولئك العرب، الذين جاؤوا إلى هذه البلاد وراء راية النبي، وكذلك أبناء الأتراك الذين اعتنقوا الإسلام، والذين ظهروا بعدئذ بمثابة فاتحين جدد. ان جميع هؤلاء انصهروا على أرضكم الجزائرية، وانضم إليهم اليونان،

(6) عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص ص: 242 - 243.

(7) أبو القاسم سعد الله، خلاصة، مرجع سابق، ص: 120.

والمالطيين، والاسبان والطلينان، والفرنسيون ... «ان ثمة أمة جزائرية آخذة في التكوين، هي أيضا، في انصهار أجناس مختلفة»<sup>(8)</sup>.

## ب . حزب الشعب الجزائري 1937:

لم يؤثر قرار حل نجم شمال افريقيا في شهر 27 جانفي 1937 من طرف الحكومة الفرنسية على المناضلين الذين كانوا ينتظرون قرارات حله التي تكرر عدة مرات في من قبل في 1929 و 1934 ثم 1935، وهو القرار الذي يثني من عزمهم، فقابلوا هذا الاجراء بتحويل خلاياه إلى مجموعات (أحباب الأمة) التي سرعان ما عقدت اجتماعا بينانتير (Nanterre) بباريس يوم 11 مارس 1937 حضره ما يقارب من 300 مشارك تأسس على اثره حزب جديد أطلق عليه (حزب الشعب الجزائري)<sup>(9)</sup>.

جاء كلمة رئيسه "مصالي" في هذه المناسبة ومعلنا رسميا عن تأسيسه ما يلي: ((أيها المواطنين الأعزاء، يشرفني ويسرني بأن أعلن أننا خلال بعد العشية من يوم 11 مارس 1937 أنشأنا حزب الشعب الجزائري بإيداع التصريح في عمالة الشرطة. إن المولود الذي رأى النور منذ ست ساعات لا يطلب شيئا غير الحياة وأن يلعب دوره كاملا وأن ينجز المهمة السياسية التي أنشئ من أجلها. إننا كلنا نتمنى له السعادة والنجاح ومستقبلا جميلا، فبوصوله إلى العالم إنه ورث ماضيا كبيرا عليه أن يستثمر فيه، إن هذا المولود هو ولد كل الجزائريين أضعه بين أيديكم وأطلب منكم أن تحبوه وأن تحفظوه وأن تسمحوا له بإكمال مهمته ولنسهر عليه كلنا ونرجو من الله القدير أن يحفظه))<sup>(10)</sup>.

تمحور برنامج الحزب حول أربعة أهداف رئيسية هي:

1 - معارضة ربط الجزائر سياسيا بفرنسا، وهو ما يسمى بالاندماج أو الفرنسية.

2 - معارضة مشروع فيوليت

3 - النضال من أجل تحقيق سيادة واستقلال الدولة الجزائرية.

4 - محاربة الاستعمار المحلي والعالمى بكل أشكاله وصوره.

لقد لخص مكتبته السياسي برئاسة الحاج مصالي منذ الساعات الأولى من تأسيسه برئاسة "الحاج مصالي" برنامجه كما يلي: ((لا اندماج، ولا تقسيم، ولكن تحرير ... إن حزب الشعب الجزائري يرفض كل

<sup>(8)</sup> ليون فيكس، الجزائر حثف الاستعمار، ترجمة: محمد عيستاني، منشورات دار المعارف، بيروت، لبنان، ص: 25 - 26.

<sup>(9)</sup> محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين (1919 - 1939)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص: 83. وأيضا: عبد الحميد زوزو، الدور السياسي، مرجع سابق، ص: 70.

<sup>(10)</sup> مذكرات مصالي الحاج، مصدر سابق، ص: 224.

سياسة اندماجية قانونية كانت أم سياسية أم تاريخية، لا يمكن لسياسة الاندماج أن تحقق أبدا.. إن حزب الشعب يعمل لتحرير الجزائر تحريرا كاملا..(11)

يظهر الفرق بين برنامج حزب الشعب والنجم الذي يستمد منه فلسفته من الأولى فلسفته أن "مصالي" ورفاقه أدركوا بالتجربة طبيعة الأجواء السياسية في الجزائر المغايرة تماما للتي بفرنسا، فتجنبوا في برنامجهم السياسي الجديد الصيغ المثيرة المخيفة مثل الاستقلال وعمدوا إلى استعمال ما يفيد بتعابير ألطف وشعارات أخف ((لا للإدماج لا للانفصال نعم للتحرر)) مع التأكيد على صيغة ((بدون الانفصال عن فرنسا))، فالتحرير الكامل قد يفيد الاستقلال والتحرر، لكن اللجوء إلى هذه الصيغ التكتيكية لم يفد كثيرا فالملاحقات والمضايقات والاعتقالات وتلفيق الاتهامات وتزوير الانتخابات ستكون من نصيبه في فرنسا وفي الجزائر، وفي هذه الأخيرة أشد وأكثر، لكن حزب الشعب الجزائري لم يسعه سوى التعامل معها وتحديدها بتكثيف اللقاءات وتنظيم المهرجانات والاحتجاجات وتأسيس الخلايا والقسمات والإكثار من التصريحات والمشاركة في الانتخابات والرد على حملات الشيوعيين والاندماجين والمتجنسين، ففي فرنسا عقد نحو 12 تجمعا خلال سنة 1938 باسم حزب الشعب الجزائري وانشاء إلى نحو 33 قسمة للحزب بفرنسا في نفس السنة، أما في الجزائر فقد ارتفع عددها في أوت 1938 إلى نحو 19 قسمة، وتم انشاء فيدرالية قسنطينة بعد فيدرالية الجزائر التي كان ينشطها كل من "حسين الأحوال" و"مفدي زكريا" والذين اعتقلا في جوان بسبب نشاطهما السياسي، اغتتم "مصالي الحاج" فرصة وجوده بالجزائر في صيف 1937 ليرشح باسم حزبه للانتخابات البلدية فنظم تجمعا احتجاجيا لصالح المعتقلين المذكورين نادى خلاله ((بالتحرير الكامل لأن الجزائر لها ماضيها ولغتها ودينها)). وفي يوم 14 جويلية شارك 3000 مناضل من حزب الشعب الجزائري في مسيرة نظمتها الجبهة الشعبية خلف العلم هتفوا خلالها بإنشاء برلمان جزائري وباحترام الإسلام وتوزيع الأراضي على الفلاحين وبناء المدارس لتدريس اللغة العربية.(12)

في الجانب الإعلامي؛ واصلت جريدة (الأمة) صدورها، كما أصدر الحزب سنة 1937 جريدة (الشعب) بالعربية في الجزائر، وأسند تحريرها إلى الشاعر "مفدي زكريا" والسيد "محمد قنانش"، ولكنها لم تعمر طويلا إذ لم يصدر منها سوى عددتين، ثم أصدر أعضاء الحزب السجناء في الحراش جريدة بالفرنسية أسموها (البرلمان الجزائري) وأسندوها إلى السيد "أحمد بودة"، ولكنها في شكل منشور أو نشرية وليست جريدة بمعنى الكلمة، ولم يصدر منها إلا عدد أو عدنان.(13)

(11) أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص: 229.

(12) عبد الحميد زوزو، الفكر، مرجع سابق، ص: 524 - 525.

(13) أبو القاسم سعد الله، خلاصة، مرجع سابق، ص: 119. وأيضا: أبو القاسم سعد الله، الحركة، مرجع سابق، ص: 170.

تمكن حزب الشعب الجزائري رغم موجة الاعتقالات التي شملت أبرز أعضائه، والعزلة التي فرضها الحزب الشيوعي وأطراف أخرى من مؤيدي المؤتمر الإسلامي أن يثبت جدارته في أقل من ثلاث سنوات على الساحة السياسية الجزائرية كأقوى حزي سياسي معتمد رسميا وشعبيا قارب عدد مناضليه في حدود سنة 1939 نحو 4000 غالبيتهم بطالين وحرفيين من صغار الموظفين والتجار وعمال الموانئ، وقليل منهم من أصحاب المهن الحرة والمتقنين والبرجوازية المتوسطة.<sup>(14)</sup>

وفي ذاته كانت هذه السنة الأخيرة، سنة الكوارث بالنسبة للحزب، ففي تلك السنة مات في السجن "رزقي كحال" الصديق الحميم "مصالي الحاج"، وخليفته في القيادة، كما قامت الشرطة بإلقاء القبض على مناضلين ناشطين في الحزب أمثال "محمد خيضر". وفي يوم 27 أوت 1939 قامت السلطات الفرنسية بمنع جريدة (الأمة) وجريدة (البرلمان الجزائري) عن الصدور، وبعد شهر من ذلك في يوم 16 سبتمبر 1939 صدر مرسوم يقضي بحل الحزب بدعوى أنه يتعامل مع ألمانية النازية، وفي يوم 4 أكتوبر 1939 قامت الشرطة باعتقال 28 شخصية قيادية في الحزب، من بينهم "مصالي الحاج" الذي كان قد أفرج عنه يوم 27 أوت 1939 من سجن الحراش، و"محمد خيضر" و"مبارك فيلاي". وذلك بدعوى أن هؤلاء الأشخاص قاموا بإعادة تنظيم حزب تم حله من طرف السلطات الفرنسية، والقيام بأعمال عدائية ضد فرنسا.<sup>(15)</sup>

---

(1)

---

(14) عبد الحميد زوزو، الفكر، مرجع سابق، ص: 530.

(15) عمار بوحوش، مرجع سابق، ص: 299.